أصداء الإستفتاء في المغرب

كان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي قد ارسل لطائفة من الكتاب والعلماء والمفكرين في نطاق دراسة مشاكل العربية واوضاعها جملة اسئلة تدور حول مستقبل اللغة وطريق النهوض بها وغير ذلك . وسيقيم في الآونة الاخيرة معارض للكتاب القانوني والفقهي ، والعسكري ، والاقتصادي والعلمي في كثير من مدن المغرب . كما سبق لمجلة « المعرفة » السورية ان قامت بالقاء عدة اسئلة على الاختصاصيين ومدرسي العلوم بالجامعات في العالم العربي ؛ وقد نشرت في بعض اعدادها اجوبة اولئك المختصين مما ساعد كثيرا على جس النبض في سير تدريس العلوم بلغة الضاد في البلاد العربية وتبيان مستقبل الدراسات العلمية العالية في الجامعات .

وتقوم «العلم» الآن بالقاء بعض الاسئلة ولو في نطاق ضيق ومحدود على بعض الاساتذة الذين اقاموا على كاهلهم في فترات عصيبة مهمة تعليم العلوم بالعربية في المدارس الحرة . والفترة التي شهدت قيام هذه الرسالة الكبيرة انطلقت من لا شيء ، وكان الاساتذة انفسهم يقدمون خطوة ويؤخرون اخرى . فالمراجع معدومة ، والرجال متكونون بلغة فرنسية محض كانت معركة جد شاقة كلفت الجهود المضنية الى ان استطاع التعليم العلمي العربي في المدارس الحرة في النهاية ان يتحسس طريقه ويقف على رجليه فوق أرض ثابتة .

ولندخل في اجوبة بعض الاساتذة الذين وافونا بها لنعرف الحقيقة منذ البدء :

فالاسئلة التي وجهناها لهم اربعة كالآتي :

1) قمتم بتدريس العلوم والرياضيات بالعربية في المدارس الحرة ، كيف كانت تجربة تدريس المواد العلمية لاول مرة بالنسبة لكم وللمدارس المغربية باللغة العربية ؟

2) هل اتت التجربة بنتيجة ايجابية ، واستطاع المتخرجون من تلك المدارس ان يتابعوا دراستهم العلمية عند ما انتقلوا الى مدارس متخصصة سواء في المغرب أو الخارج ؟

3) بعد تعريب التعليم ازدادت فرص تلقين العلوم بالعربية خصوصا وان الافواج التي تلقت العلوم باللغتين على وشك التخرج وكذلك تعريب بعض الكتب والمصطلحات العلمية وغيرها ، فهل ستلعب هذه المقدمات دورا فعالا في ارساء تعليم علمي عربي بالبلاد ؟

4) مارستم تعليم العلوم بالعربية وانتم مطلعون ولا شك على مشاكله . هل تحددون المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام هذه الرسالة ؟

تلاميذنا المكونون بالعربية يضاهون أو يتفوقون على تلاميذ التعليم المكونين بالفرنسية

الاستاذ ادريس عمور
عميد المدرسة العليا للمهندسين

— 1 —

* لقد مارست خلال عدة سنين ، او على الاصح خلال اكثر من عشر سنوات ، تعليم الفيزياء والكيمياء والرياضيات باللغة العربية ، ورغم كوني لست متبحرا في هذه اللغة ولم اكن متضلعا فيها ، فقد قمت باعطاء دروسي الاولى في الرياضيات بالعربية حوالي — 1950

— 1951 — وربما قبل هذا التاريخ وذلك بمؤسسة لحلو بالدار البيضاء . ولولا مثابرتي وصمودي ، ولولا ايمان مدير المؤسسة المذكورة فى نجاحي فى هذه المهمة لكنت عجزت عن القيام بها بعد اسبوع من التدريس : نعم ، لقد كان يبدو لي اذ ذاك من قبيل المحال من الناحية العلمية ان ابلغ لعقول تلامذتي فكرتي العلمية باللغة العربية ، حتى ادى بي الحال الى تقديم استقالتي ، غير ان المدير رفضها رفضا تاما وصار يشجعني ويقوي عزيمتي . فأصبحت بمحض ارادتي واجتهادي اقوم بتعريب مادة الرياضيات اولا ثم الفيزياء وبعد ذلك مادة الكيمياء . ولم تكن اذ ذاك رهن اشارتي اية مراجع فى العلوم بالعربية ، مما جعلني اعتمد على الارتجال فقط . وكانت النتيجة ان شعرت بهذه الظاهرة : فبدلا من ان يظهر التلاميذ نوعا من الضجر ويعسر عليهم الامر من عدم استطاعتي التعبير بطلاقة اللسان وايجاد الالفاظ العلمية بسهولة . فقد اندمجوا معي فى هذه المحاولة واصبحوا بدورهم يبحثون معي عن المصطلحات التي تؤدي المعنى بدقة . ولم يكن ليتسنى ايجاد اللفظ قبل معرفة ما كان يرمي اليه ، وهذا البحث الاجماعي عن المصطلح المناسب كان عاملا مهما حمل التلاميذ على الاجتهاد فى فهم الدرس النظري والتمارين التطبيقية فهما جيدا .

وقد قمنا بالبحث عن المصطلحات ، وهكذا فبعد مضي شهر ونصف من الحيرة والتردد ، اصبح فى استطاعتي — رغم كوني لم اكن احسن اللغة العربية كما ذكرت آنفا — ان اقوم بتدريس ما كان يبدو لي ذلك من قبيل المحال واعني بذلك مواد العلوم بالعربية.

وطبعا ، خلال السنة التالية كنت ادرس باللغة العربية بنفس السهولة التي كانت تخولني اياها اللغة الفرنسية ، اقول كنت ادرس باللغة العربية كلا من مواد الرياضيات والفيزياء والكيمياء واخيرا البرامج المقررة فى العلوم للسنوات الاولى من التعليم الثانوي .

ولما قمت : بمدارس محمد الخامس بالرباط صحبة صديقي الاستاذ الحسين البكاري ، بانشاء السنة الثانية من الطور الثانوي الثاني ثم فتح قسم الباكلوريا العصرية الاولى 1953 — 1954 ، لم نجد اية صعوبة ، لان المصطلحات الاساسية كانت هي هي ، ولم تكن لتتغير ، وبهذه الطريقة استطعنا أن نزيل من عقلية التلاميذ المعربين كل مركب نقص وذلك بتلقينهم — باللغة العربية طبعا — نفس البرامج المقررة فى الفيزياء والكيمياء والرياضيات ، بالمعاهد الثانوية (الفرنسية) .

وبعد الاستقلال ، اصبح من الممكن ان نحدث بثانوية مولاي يوسف بالرباط اول قسم معرب لتحضير الباكالوريا الثانية فى الرياضيات ، ثم حوالى سنة 1961 اولى سنة تحضيرية عليا معربة فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء بالمدرسة المحمدية للمهندسين .

لقد واجهتنا فى هذه المرحلة العليا من تعريب المواد العلمية مشاكل عويصة ناتجة عن عدم وجود المراجع الضرورية ، الامر الذي جعلنا نلجأ الى استعمال الحروف اللاتينية للتعبير عن الرموز فى الكيمياء والفيزياء والرياضيات .

وسأتكلم بعد حين عن هذه الصعوبات .

— 2 —

* لقد كانت لهذه التجربة طبعا نتائج ايجابية فليس المغاربة من ذوي الذاكرة المحدودة : تذكروا السنتين التجريبيتين 1952 ، 1953 وما بعد سنة 1953 : فبفضل تعريب المواد العلمية فى الطور الثانوي بالمدارس الحرة استطعنا سواء بالرباط ، او سلا ، او الدار البيضاء او فاس الخ.. ان نخلق نوعا من النشاط فى نفوس مجموعة من الشباب كانوا يظنون مستقبلهم مغلقا عليهم وان انس فلن انسى عزة النفس التي كنت اقراها على وجوه تلامذتي عندما كانوا يمثلون امامي قائلين : « لقد انجزنا المشكلة الحسابية المطروحة على تلاميذ ثانوية مولاي يوسف ولقد حللناها باللغة العربية لرفاقنا ..الخ.»

وما اكثر ما واجهناه فى طريقنا من عناد وتشكيك ! ورغم ذلك فان اقبال التلاميذ ونشاطهم بلغ شأوا كبيرا حوالي سنة 1954 — 1955 الى درجة أن كاد الامر يدفع بنا الى اخفاء برامجنا لكون المسؤولين عن التعليم آنذاك كانوا يتخوفون من مزاحمة تعليم غير رسمي وان كان لا فرق تماما بين مستواه ومستوى التعليم الرسمي ، ويلقن باللغة العربية !

وحوالي سنة 1955 ، حصلنا على الفوج الاول من الحاملين لشهادة الباكالوريا ، غير الرسميين ، وان شئت فقل (المكونين فى الخفاء) (لانه كان على المدارس الحرة فى ذلك العهد الا يتعدى تعليمها السنة الثالثة من الطور الثانوي) ، وقد قام الاساتذة الشرقاوي، وابو بكر ، والبكاري وغيرهم ببعض

الاتصالات مع الاقطار الشقيقة فى الشرق . وهكذا فقد استطعنا الحصول على المصادقة والاعتراف بباكلوريا برزت من الخفاء . هذا ومن بين ذلك الفوج ، فقد دخل للمغرب عدد كبير من الطلبة وهم يمارسون الآن مهمة التدريس بمعاهدنا .

وبعد سنة 1956 ، استطاع طلبتنا الحاملون للباكالوريا الثانية فى الرياضيات الذهاب الى الخارج علانية هذه المرة سواء لمصر او الشام .

كما سافر آخرون الى اوربا حيث تلقوا تكوينا لغويا فى الفرنسية او الالمانية ، مكنهم من متابعة دراستهم هناك بسهولة وقد رجعوا وهم يحملون شهادة الليسانس فى العلوم او درجة مهندس.

— 3 —

* نعم ، وبدون ادنى شك ! لقد عرفنا فى الوقت الذي لم يكن لدينا الوسائل سوى ايماننا وارادتنا .

سبق لي ان اشرت الى ذلك حيث كنا نقوم بمفردنا بايجاد المصطلحات الضرورية ، اما الآن ، فتوجد رهن اشارتنا لهذه الغاية قواميس مختصة ، وكذلك طريقة منهجية للتعريب ، واكثر من ذلك ، يمكن لنا الآن تنسيق التعريب بين سائر الاقطار العربية .

وفى نظري ، فالتعريب فى حد ذاته غير صعب ، فليس هناك الا مشكل ، ومشكل واحد : من يا ترى سيقوم بالتعريب ؟ ومتى ستتوفر على جميع الاطر التعليمية القادرة على تدريس جميع المواد العلمية ليسهل تعريبها ؟

منذ لحظة ، كنت اصرخ صرخة المنتصر : لقد استطعنا ان نعرب فى الوقت الذي لم نكن نتوفر فيه على الوسائل الضرورية : ولكن كان الامر اذ ذاك يتعلق بمئات او بآلاف من التلاميذ ، اما الآن ، فقد اصبح يتعلق بعشرات الآلاف او بمئات الآلاف من التلاميذ .

وعليه ، فتعريب التعليم الآن امر سهل من حيث المبدأ اما من حيث التطبيق ، فقد يكاد يكون من قبيل المستحيل ، وذلك اذا نحن اخذنا بعين الاعتبار قلة الاطر الضرورية .

ثم هناك فى نظري سبب آخر اكثر خطورة وهو انعدام النشاط وانعدام الثقة فى الوصول الى هذا الهدف ، وعليه فاذا ما انتم استطعتم ان تخلقوا النشاط وقوة العزيمة كما كان الامر عليه سنة 1953، فانكم لا محالة ستتمكنون فى اقرب الآجال من تعريب تعليمنا العلمي .

— 4 —

* لقد اشرت فيما سبق الى بعض الصعوبات التي منها ما هو جسيم ، وهي :

1) الرجال الضروريون لهذا التعريب .
2) النشاط والايمان والثقة بالتعريب

وهناك صعوبات اخرى على الصعيد التقني ينبغي التغلب عليها ، وابادر بالقول الى ان الحلول التي انادي بها للتغلب على هذه الصعوبات ، هي حلول املتها علي التجارب : فاذا اردنا القيام بعمل ناجع ومفيد ، ينبغي ان نتجنب فى ميدان تعريب العلوم كل التعصبات والانفعالات القومية او اللغوية او غيرها ، فعلينا الا ننسى ان العلوم عالمية يسهم فيها جميع اقطار المعمور ، فاذا كنا فى حاجة الى ان نتعرف الى ما وصلت اليه الاقطار الاخرى فى هذا المضمار، علينا ان نعمل ايضا على ان يتمكنوا بدورهم من التعرف على ما نقوم به نحن الاقطار العربية فى هذا الميدان . ففي الحقل العلمي اذا ، لا توجد بروج عاجية يستحيل الوصول اليها ، وان اكبر ضرر فى نظري يمكن ان يلحق العرب المختصين فى العلوم ، هو ان يضعوا انفسهم داخل دائرة لا يمكن تجاوزها

والحل كما ذكرت ذلك آنفا : هو استعمال الحروف اللاتينية فى كتب الصيغ المتعلقة بالفيزياء والكيمياء والرياضيات ، ابتداء من السنة الثالثة من الطور الثانوي ، وكفى !

وهنا احكي حكايتين اشرح بهما هذا المبدأ الاساسي او ما اعتبره مبدأ اساسيا :

كنت اقوم بتدريس مادة الرياضيات بقسم الباكلوريا الثانية المعربة فى الرياضيات بثانوية مولاي يوسف وكانت الدروس مفهومة جدا من طرف التلاميذ، غير اني كنت اشعر ان هؤلاء كانوا يغارون شيئا ما من اصدقائهم بقسم الباكلوريا الثانية فى الرياضيات باللغة الفرنسية ، وذلك لان الاولين كانوا محصورين فى دائرة الدروس التي كنت القنهم اياها ، اما الآخرون ، فكانوا يتوفرون على عدة مصادر مهمة ، وبالاخص على مؤلفات تحتوي على مشاكل حسابية وتطبيقات منجزة باللغة الفرنسية طبعا .

واذ ذاك ، قمت بالتجربة الآتية : اخذت مطبوعات الرموز ومطبوعات الرموز وحدها فقط وادخلت عليها الحروف اللاتينية وبدلا من أن أكتب :

ا س2 + ب س + ج = 0
كتبت a x2 + b x + C = O

وبعد مضي شهر واحد ، اصبح تلامذتي يتوفرون على مطبوعات الرموز ، لاسيما وان هذه الرموز تجعل الطالب يساير الدروس مسايرة سحرية وبغاية السهولة .

أما الحكاية الثانية ، فهي كما يلي :

حتى سنتي 1957 — 1958 ، لم يكن أحد يؤمن بصفة معقولة في تعريب قسم الباكالوريا الثانية في الرياضيات . وبعد جهود جبارة استطعنا أن نحصل على الموافقة لانشاء هذا القسم .

ولما شعرت ان تلامذتي تعودوا جيدا على استعمال الحروف اللاتينية في كتابة الصيغ ، طلبت — وحظي طلبي بالقبول — أن يجتازوا نفس الامتحانات المخصصة لزملائهم المسجلين بالاقسام الفرنسية ؛ وان يقوم بتصحيح الاختبارات اساتذة فرنسيون ؛ وقد شارك في هذه الامتحانات 26 طالبا معربا نجح منهم 14 او 16 (لا أتذكر بالضبط) .

وخلاصة القول :

ليس هناك مشكل لتعريب التعليم خصوصا في الظروف الحالية :

فتكوين الرجال وتقوية العزائم والجو الضروري واستعمال الطرق الناجعة والعمل على نسيان الانفعالات ؛ تلك هي في نظري المتواضع ، الشروط الضرورية للوصول الى تعريب صحيح يناسب العصر العلمي الذي هو عصرنا وذلك سواء في التعليم الثانوي او العالي .

انطلاق رائع للتعليم العلمي العربي يجب أن يعزز بفتح معاهد التخصص أمام المكونين بالعربية

الاستاذ العربي حصار
صيدلي ومدرس العلوم

* فيما يتعلق بالسؤال الاول على تجربة تدريس المواد العلمية بالعربية لاول مرة بالنسبة لي فقد كانت تقريبا بطريقة الصدفة اذ في سنة 1950 تأسست ثانوية النهضة بسلا وكانت في حاجة اكيدة لاساتذة في تدريس العلوم بالعربية وبديهي أن الواجب كان يدعو اذ ذاك للتلبية والمشاركة في ارساء دعائم النهضة العلمية بالبلاد . ولبيت النداء ، وكانت مهمة صعبة وشاقة لانني تلقيت تكويني العلمي بلغة اجنبية في مدرسة فرنسية محضة لان اللغة العربية تعتبر حينذاك لغة اجنبية . واستطعت تلبية لرغبة الاستاذ ابي بكر القادري ان اضع امكانياتي في سبيل وضع اللبنات الاولى دون ان انسى انني لم اكن مهيأ للمهمة. وتتبع الصعوبات التي واجهتني اذ ذاك في عدم وجود مراجع مدرسية علمية بالعربية سواء في الطبيعيات او الكيمياء والفيزياء . واضطررت انا والاخوان الاساتذة عمور ، والبكاري والطيب بن عمر ان نعكف على ترجمة الكتب الفرنسية . وكانت تجربة انطلقنا فيها من الصفر وسارت رويدا رويدا الى ما بعد الاستقلال ، وخرجنا من التجربة بنتيجة سارة استطعنا فيها لا اقول الانتصار وانما قهر الصعوبات العديدة . وأؤكد بهذه المناسبة انني خرجت وأنا ملم باللغة العربية بفضل العكوف والتدريس .

أما بالنسبة للمدارس العربية فقد كانت التجربة طبيعية ، وانما الشيء الذي وقف حائلا دون جدية وفعالية الدروس هو انعدام وسائل الايضاح ، وهذه المسألة تغلبنا عليها بوسائلنا الخاصة ، فمن جانبي كنت ازود جهتي بالمواد الكيماوية وكان الآخرون من جهتهم يضعون وسائلهم تحت تصرف اقسامهم وهكذا ...

ورغم كل ما ذكرت فقد علقنا آمالا كبيرة على انتصار التعليم العربي العلمي متى استقلت البلاد . وللتدليل على مدى تلك الآمال فقد كنا نحث الطلبة على التوجه الى الشرق وبالاخص سوريا لانها قريبة الينا من حيث التكوين العلمي .

* وعن السؤال الثاني حول نتيجة التجربة والانتقال الى متابعة العلوم في مدارس متخصصة بالمغرب والخارج أجاب الاستاذ العربي حصار على أنه يعتبر النتيجة ايجابية الى حد . فقد استطاع فعلا كثير من المتخرجين بالعربية ان يتابعوا دراستهم العلمية في الخارج سواء في الشرق كبعض المهندسين وهناك دكتور في الكيمياء على وشك انهاء دراسته وعدة طلبة يتابعون تعليمهم العالي في الفلاحة بالولايات المتحدة وطالبان يدرسان الآن في الجزائر احدهما في كلية الطب والآخر في كلية الصيدلة فترة تدريب